المحاضرة الثانية(تابع)

الأستاذة: فوزية سعيود

3 _ الرواة ونحل الشعر:

من الأسباب التي أدت إلى نحل الشعر أسباب تتصل برواية الشعر الجاهلي عن طريق الرواة، وهم عرب وغير عرب(موال).

تحدثنا المصادر القديمة عن بعض الرواة الذين أفسدوا الشعر ونحلوه منهم "حماد الراوية" وكان زعيم أهل الكوفة في الرواية والحفظ، و" خلف الأحمر" وكان زعيم أهل البصرة في الرواية والحفظ، وقد كانا يحفظان الشعر ويحسنان روايته وكانا شاعرين ماهرين يصلان من التقليد والمهارة فيه إلى حيث لا يستطيع أحد أن يميز بين ما يرويان وما يلحنان "طه حسين في الأدب الجاهلي"، وكلاهما مشكوك في خلقه وانصرافه عن أصول الدين. ويحدثنا "المفضل الظبي" وهو من خيرة رواة الكوفة أن حماد الراوية أفسد الشعر إفسادا لا يصلح بعد.

ولقد تنبه "ابن سلام" إلى دور الرواة في نحل الشعر يقول:« ثم كانت الرواة بعدُ فزادوا في الأشعار. وليس يشكّ على أهل العلم زيادة ذلك، ولا ما وضع المولدون وإنما عضُل بهم أن يكون الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال».

وها هو "ابن سلام" يحدثنا عن "أبي عبيدة " أن «"ابن دؤاد بن متمم بن نويرة" قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي في الجلب والميرة فنزل النحيت فأتيته أنا و"ابن نوح" فسألناه عن شعر أبيه "متمم"، وقمنا له بحاجته وكفيناه بيعته، فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها لنا، وإذا الكلام دون كلام متمم والوقائع التي شهدها، فلما توالى علمنا أنه يفتعله».

ويحدثنا "ابن سلام" عن "حماد الراوية" فيقول:« وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية، وكان غير موثوق به، يمحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار».

ويحدثنا "ابن سلام" عن "حماد الراوية" في موضع آخر يقول:« أخبرني أبو عبيدة فقال: قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة فقال: ما أطرفتني شيئا، فعاد إليه فقال القصيدة التي في شعر الحطيئة في مدح أبي موسى فقال: ويحك أيمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به وأنا أروي للحطيئة ! ولكن دعها في الناس».

ويعجب "ابن سلام" لمن يأخذ عن حماد الراوية لأنه كان يكذب ويلحن ويكسر، يقول:« سمعت يونس يقول: العجب لمن يأخذ عن حماد كان يكذب ويُلحن ويكسر».

من النصوص السابقة يتضح لنا كيف أن "ابن سلام" تنبه إلى دور الرواة في نحل الشعر، وأنهم كانوا يتزيدون في الأشعار وينسبونها إلى الشعراء الجاهليين، ويحدثنا أيضا أن ما بقي في أيدي الرواة المصححين قليل، ويستدل على ذلك بما وصل إليه من شعر "طرفة بن العبد" و"عبيد بن الأبرص"، فهما قد وضعا في موضع من الشهرة والتقدمة مع أن ما وصل إلينا من أشعارهما بعدد عشر قصائد، ولو كانا قالا هذا العدد من القصائد لما استحقا هذه الشهرة، وهذا يدل على أن أكثر أشعارهما لم تصل إلينا، وإنما تزيدها الرواة حتى يجعلوا هذين الشاعرين يستحقان هذه الشهرة. يقول "ابن سلام" في ذلك :« ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد، والذي صحح لهما قصائد بقدر عشر، وإن لم يكن غيرهما فليس موضعهما حيث وضعا من الشهرة والتقدمة، وإن كانا ما يروى من الشهرة فهما ليس يستحقان مكانهما».

تلك هي الأسباب التي أدت إلى نحل الشعر، وكما رأينا فقد تنبه "ابن سلام" إليها وأبرزها في كتابه "طبقات الشعراء".

وتنبغي الإشارة إلى أن "ابن سلام" ذكر أن هناك صعوبة في تمييز الشعر المنحول من الشعر الصحيح، إذا كان الشعر المنحول صادرا« من أهل البادية من ولد الشعراء، أو الرواة ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال»؛ ومع هذا فإن "ابن سلام" نفسه انخدع بهذا الشعر المنحول فأورد أشعارا لطائفة من الشعراء ادّعى أنها أقدم ما قالته العرب من الشعر

الصحيح، فأورد أبياتا نسبها إلى "أعصر بن سعد بن قيس عيلان". يقول "ابن سلام":« وقال أعصر بن سعد بن عيلان وهو منبه أبو باهلة وغنيّ والطفاوة.

قالت عميرة ما لرأسك بعدما نفدَ الزمــان أتى بلون منــكر

أعُميرَ إن أباكِ شيّب رأســـه كرُّ الليالي واختلاف الأعصر

وبهذا البيت سمي أعصر وقد قالت قوم يعصر، وليس بشيء».

ولعل الناظر إلى القرائن التاريخية يدرك كيف أن "ابن سلام" انخدع بهذا الشعر، فمن المعروف أن "**أعصر**" هو"ابن سعد بن قيس عيلان بن لياس بن مضر بن نزار بن معد" وأعصر هذا_ إن عاش_ فقد عاش قبل الإسلام في العصر الذي كان يعيش فيه "موسى بن عمران" أي ق 14 ق م، أي قبل المسيح بقرون عدّة وقبل الإسلام بأكثر من 10 قرون. يقول "ابن سلام":« وإنما قعد بإزاء موسى بن عمران أو قبله قليلا»، فكيف لمثل هذه الأبيات أن تصل إلينا صحيحة؟، ومثل ذلك ذكره لشعر قاله "مالك وسعد" ابنا زيد في تميم، وادعى "ابن سلام" أنه من صحيح الشعر ومنه قول "سعد بن زيد":

أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتمل ما هكذا تورد يا سعدُ الإبل

فلم يصل إلينا من أخبار مالك وسعد شيئ، ولعل العرب أرادوا أن يفسروا بعض الأمثال ومنها المثل القائل:"ما هكذا تورد الإبل يا سعد" فنحلوا هذا الشعر ونسبوه لشاعر ادعوا أنه "سعد بن زيد مناة"، ومثل ذلك شعر نسبه "ابن سلام" "للعنبر بن عمرو بن تميم" ، وهو قوله:

قد رابني من دلوي اضطرابها والنأي في بهراء واغترابها

إن تجئ ملآي تجئ قرابها

ويبدو أن هذا الشعر منحول جيء به لتفسير البيت الأخير الذي كان يجري مجرى المثل، وقد نسب "ابن سلام" كذلك شعرا لزهير بن جناب الكلبي وجذيمة الأبرش وهي أشعار منحولة، قبلها العرب من رواة كانوا يعتقدون أنهم رواة ثقاة.

ثانيا _ قضية الانتحال عند الجاحظ:

عالج "**الجاحظ**" قضية الانتحال، وحاول أن يكمل منهج "**ابن سلام**" في التمييز بين الشعر الصحيح والمنحول، واعتمد في ذلك على شهادة الرواة ومبدأ تفاوت الشعر شأنه في ذلك شأن ابن سلام. ومثال ذلك أنه يروي بيتا منسوبا "**لأوس بن حجر**" قوله:

فانقضَّ كالدُّريِّ يتْبعه نقعٌ يثور تخالهُ ظُلُما

يعلق الجاحظ على هذا البيت بقوله:« وهذا الشعر ليس يرويه لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح بن أوس».

وأضاف "**الجاحظ**" إلى الوسائل التي يثبت بها الانتحال والتي ذكرها "ابن سلام" دليلا جديدا وهو الدليل الداخلي فنراه يروي قول "**الأفوه الأودي**":

كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار

وعلق الجاحظ على هذا البيت بقوله:« وبعد فمن أين علم الأفوه أن الشهب التي يراها إنما هي قذف ورجم وهو جاهلي ولم يدّع هذا أحد قط إلا المسلمون».

واضح من تعليق "الجاحظ" على قول الأفوه أن الجاحظ لجأ إلى تحليل البيت تحليلا داخليا، ومعروف أن القرآن الكريم أشار إلى أن الشهب رجم للشياطين ولم يكن العربي في الجاهلية أن يعلم هذا العلم، ومن هذا التحليل الداخلي استنتج الجاحظ أن البيت منحول.

وذكر الجاحظ أيضا أن أناسا كانوا يبهرجون أشعار المولدين ويستسقطون من رواها، وأنه لم ير ذلك قط إلا في راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروي، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان وفي أي زمان كان.